

Al-Zaytouna Centre
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات

Conference on
**The Islamists of the Arab World
& the Palestinian Issue**
in Light of the Arab Uprisings

مؤتمر
**الإسلاميون في العالم العربي
والقضية الفلسطينية**
في ضوء التغيرات والثورات العربية

ورقة عمل

**الجماعة الإسلامية في لبنان
والقضية الفلسطينية**

أ. عزام الأيوبي



Crowne Plaza - Beirut - Lebanon
28 - 29 November 2012

فندق كراون بلازا - بيروت - لبنان
29-28 تشرين الثاني / نوفمبر 2012

الجماعة الإسلامية في لبنان والقضية الفلسطينية

أ. عزام الأيوبي*

بسم الله الرحمن الرحيم

شكلت القضية الفلسطينية على الدوام أولوية مطلقة لدى الجماعة الإسلامية في لبنان منذ نشأتها في منتصف القرن الماضي، ولم يكن هذا الأمر بدعاً بين الحركات الإسلامية، وخاصة تلك المتفرعة عن الحركة الأم "جماعة الإخوان المسلمين"؛ ففلسطين، والمسجد الأقصى قلب الأمة وجرحها النازف، ترتبط بهما برباط العقيدة والإيمان.

وقد زاد في تفاعل الجماعة الإسلامية مع القضية الفلسطينية عوامل أخرى، منها احتضان لبنان لعدد كبير من الإخوة اللاجئين، الذين توزعوا في مختلف المناطق اللبنانية، ومنها المواجهة المفتوحة بين القوى الثورية المقاومة، سواء الوطنية أم الإسلامية مع الكيان الإسرائيلي على الأرض اللبنانية المحتلة، وصولاً إلى الحدود اللبنانية الفلسطينية.

ولتبيان تجربة الجماعة الإسلامية في لبنان مع القضية الفلسطينية سأحاول التوسع في ثلاثة

محاور:

1. موقع القضية الفلسطينية في فكر، ومنهاج الجماعة.
2. الجماعة والقضية الفلسطينية من الناحية العملية (أنشطة وفعاليات).
3. تأثير المتغيرات المفصلية، وثورات الربيع العربي على أولوية تفاعل الجماعة مع القضية

الفلسطينية:

أ. أحداث سنة 2005 والخروج السوري من لبنان.

ب. ثورات الربيع العربي وثورات سورية على وجه الخصوص.

المحور الأول: موقع القضية الفلسطينية في فكر ومنهاج الجماعة:

على امتداد تاريخها، لم يخل مشروع سياسي تقدمت به الجماعة لأعضائها وجمهورها من بند القضية الفلسطينية، كذلك لم تخل مناهجها التربوية التي ينشأ عليها المنتظمون في صفوفها من هذا البند الأساسي، والذي يقوم على الثوابت التالية:

1. فلسطين أرض عربية إسلامية، من النهر إلى البحر، لا يجوز التنازل عن أي جزء منها مهما كانت الأسباب، ومهما طال الاحتلال.

* أ. عزام الأيوبي: رئيس المكتب السياسي للجماعة الإسلامية في لبنان.

2. لا شرعية للكيان الإسرائيلي، ولا اعتراف به أو بوجوده على أيّ جزء من فلسطين.
3. تحرير فلسطين مسؤولية إسلامية شرعية، ومسؤولية وطنية فلسطينية، ومسؤولية قومية عربية، ومسؤولية دولية إنسانية، وفق مقتضيات الحقّ والعدل. وإن دوائر العمل لفلسطين، سواء كانت وطنية، أم عربية، أم إسلامية، أم إنسانية هي دوائر تركيز متكاملة متناغمة، ويجب ألا تكون متعارضة.
4. إن المشروع الصهيوني هو مشروع عنصري عدواني احتلالي توسعي، قائم على اغتصاب حقوق الآخرين، ومعاد لتطلعات الشعب الفلسطيني في الحرية والعودة وتقرير المصير.
5. إن المشروع الصهيوني يشكّل خطراً على الأمة العربية والإسلامية، وخصوصاً بلدان الطوق، كما أنه معادٍ لتطلعات الأمة في التحرر والنهضة والوحدة، وهو مشروع لا يستطيع أن يعيش ويزدهر إلا إذا كانت البلدان التي حوله ضعيفة، وممزقة، ومتخلفة، كما أن قيام المشروع النهضوي العربي الإسلامي لا يتم إلا بإزالة الكيان الصهيوني من قلبه النابض فلسطين؛ ولذلك فإن صراعنا مع هذا المشروع هو صراع وجود، وليس صراع حدود.
6. لا نقاتل اليهود لمجرد كونهم يهوداً، إنما نقاتل أولئك اليهود الصهاينة المعتدين، الذين اغتصبوا أرض فلسطين، وشردوا شعبها، وانتهكوا مقدساتها، وسنقاتل أيّ فئة أو جماعة تحاول احتلال أرضنا، واغتصاب حقوقنا، مهما كان دينها أو قوميتها.
7. لا تنازل عن القدس، فهي عاصمة فلسطين، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين، ومؤشر عزتهم وكرامتهم، ولا قيمة لإجراءات التهويد التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي مهما حاول من تزوير الحقائق على الأرض، وسنبدل الغالي والنفيس حتى تتحرر القدس، وتسترجع مكانتها ودورها كمركز للتعايش السلمي، والإبداع الحضاري.
8. لا تنازل عن حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، التي أخرجوا منها، سواء في الأرض المحتلة سنة 1948، أم الأرض المحتلة سنة 1967، وإنّ حقّ تعويضهم عن الضرر الناتج عن تشريدهم، واحتلال أرضهم لا يلغي أو ينتقص من حقهم في العودة.

المحور الثاني: الجماعة والقضية الفلسطينية من الناحية العملية (أنشطة وفعاليات):

انطلاقاً من الثوابت السابق ذكرها كان تفاعل الجماعة الإسلامية مع كلّ المحطات المرتبطة بالقضية الفلسطينية، سواء داخل فلسطين أم على الساحة اللبنانية، وعلى مختلف الجوانب:

ففي الجانب السياسي: حضرت القضية الفلسطينية في كلّ الرؤى السياسية التي أعدت، وكان آخرها في منتصف سنة 2010، وقد جاء فيها تحت عنوان "القضية الفلسطينية ودور المقاومة":

لا يمكن فصل ما يجري في لبنان عن الصراع مع العدو الصهيوني، وعن الموقف الأمريكي المنحاز والداعم لهذا الكيان. والمشروع الصهيوني في المنطقة يشكل أكبر خطر على أمتنا ووطننا، وهو يسعى لتمزيق الأمة العربية والإسلامية باستثارة كلّ أنواع الفتن الطائفية، والمذهبية، والعرقية، والحروب الداخلية.

من هذا المنطلق نعتبر مواجهة هذا الخطر وتداعياته علينا كعرب ومسلمين ولبنانيين واجباً شرعياً ووطنياً. وبما أنّ هذا العدو يجثم على تخومنا، ولا يزال يحتلّ كامل فلسطين وجزءاً من أرضنا، ويستبيح سماءنا، ومياهنا، ويهدّدنا صباح مساء، فإنّ ذلك يلقي على كاهلنا مسؤوليات كبيرة في مواجهة هذا المشروع، وخاصةً لجهة تعبئة الأمة وتوعيتها بالخطر الصهيوني، الذي يهدّدنا بكلّ مقوماتها، ووجودها، والعمل على بناء المجتمع المقاوم بالفكر والممارسة، والتنسيق مع القوى اللبنانية والفلسطينية المقاومة، وفي مقدّمتها حركة حماس، من أجل مقاومة هذا الخطر بكلّ السبل المتاحة.

وجاء في فقرة أخرى تحت عنوان: "قضية الحقوق المدنية":

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض القوانين اللبنانية عاملت الشعب الفلسطيني بعنصرية بغیضة، تحت حجة واهية قوامها رفض التوطين. وهو مبدأ انعقد عليه الإجماع الفلسطيني واللبناني، ولسنا بحاجة من أجل تأكّيده إلى استحداث قوانين ظالمة لا تتسجم مع حقوق الأخوة والضيافة، وتتعارض مع حقوق الإنسان التي أقرتها المواثيق الدولية. من هنا نجد ضرورة لتبني قضايا الفلسطينيين المحقّة في لبنان، وعلى رأسها تعديل القوانين التي حرمت الفلسطينيين من الحقوق المدنية والإنسانية، والإسراع في إعادة إعمار مخيم نهر البارد.

في الجانب السياسي أيضاً وقفت الجماعة بقوة في مواجهة مشاريع التسوية، واتفاقيات التنازل والخضوع مع الكيان الصهيوني، فعارضت معاهدتي التسوية، اللتين وقعتهما مصر والأردن في كامب ديفيد، ووادي عربة مع المحتل الإسرائيلي؛ لأنهما تضمنتا اعترافاً بالكيان الغاصب، وإقراراً له على ما اغتصب من الأراضي العربية؛ ولأنّ هذه المعاهدات تعزل دول المنطقة، وتمنع شعوبها من القيام بدورها وواجبها تجاه فلسطين وتحريرها، كما توفر أجواء النمو، والقوة للمشروع الصهيوني في المنطقة، وتعطي الفرصة للكيان الإسرائيلي للاستقواء على الفلسطينيين، وتهويد

باقي أرض فلسطين، وخصوصاً القدس؛ كذلك لأنها تعزز فرص التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، وفرص اختراقه للمنطقة العربية وهيمنته عليها.

كما وقفت الجماعة بقوة أيضاً في مواجهة اتفاق أوسلو، الذي وقعت عليه رسمياً منظمة التحرير مع الكيان الصهيوني سنة 1993، والذي نشأت على أساسه السلطة الفلسطينية في الضفة والقطاع، مقابل اعتراف المنظمة بحق "إسرائيل" في الوجود، وبشرعية احتلالها لأكثر من 77% من أرض فلسطين، وإسقاط خيار المقاومة المسلحة، وإنهاء الانتفاضة.

هذا في الموقف السياسي، أما من الناحية التنظيمية والعملية، فقد أخذت الجماعة على عاتقها بناء جيل يؤمن بحتمية تحرير فلسطين بكل ذرة من ترابها، فوضعت المناهج التي تؤصل لهذه الثقافة، واتخذت من المناسبات الفلسطينية المختلفة محطات ثابتة لإقامة المهرجانات، والندوات، والمعارض التي تخدم هذه الفكرة وتنتشرها بين أبناء المجتمع اللبناني في كل أرجاء الوطن، كما استخدمت لهذه الغاية كل الوسائل المتاحة، فكانت المحطات الإذاعية، وخطب الجمعة، والمجلات الدورية، والنشرات الخاصة كلها منابر للحديث عن القضية الفلسطينية، ومكانتها الاستراتيجية، كما لم تغفل الجماعة الجانب الفني في نشر هذه الثقافة، فكانت المسرحيات، والأناشيد، ومسابقات الرسم، وسائل فعالة لبث ثوابتنا المتعلقة بفلسطين.

مع تطور الأوضاع داخل فلسطين، وتحديداً مع انطلاق الانتفاضة الثانية، ودخول المواجهة مع المحتل الإسرائيلي مرحلة متقدمة، طورت الجماعة أيضاً وسائل عملها للقضية الفلسطينية لمواكبة الحراك في الداخل المحتل.

وأنشأت لهذه الغاية مؤسسة أطلقت عليها اسم "هيئة نصره الأقصى"، وأمدتها بأفضل الكوادر والقيادات لديها، وقد كان لهذه الهيئة إسهامات كبيرة في نقل العمل للقضية الفلسطينية إلى مستويات متقدمة جداً، سواء على مستوى الدعم المالي الذي كانت الهيئة تجمعها من المتبرعين اللبنانيين وتؤمن وصوله إلى داخل فلسطين؛ للإسهام في تثبيت أهلها، أو على مستوى الحراك الشعبي الداعم لصمود أهلنا الفلسطينيين في مواجهة الاحتلال، والذي شهد منحى تصاعدياً مميزاً، بلغ ذروته مع قيام الكيان الغاصب بحصاره الظالم لغزة، وعدوانه عليها نهاية سنة 2008 وبداية 2009.

وشاركت الهيئة في العديد من قوافل كسر الحصار، وأطلقت قوافل شدّ الرجال إلى المسجد الأقصى المبارك، وكانت تصل إلى أبعد نقطة حدودية ممكنة، وصولاً إلى التحضير للمشاركة

في أسطول الحرية الثاني لكسر الحصار عن غزة، حيث غطى المتبرعون اللبنانيون شراء سفينة شحن، وضعت بتصرف اللجنة المشرفة على هذا الأسطول في إحدى الدول الأوروبية. لم تكثف الجماعة بعملها المستقل من خلال هيئة نصره الأقصى، ولأن مساحات العمل المطلوبة للقضية الفلسطينية أكبر من طاقة أي جهة منفردة، بادرت الجماعة للقيام بأعمال مشتركة مع العديد من الجهات اللبنانية، والفلسطينية، والعربية، والإسلامية، فأسهمت في تأسيس العديد من المؤسسات الداعمة للقضية الفلسطينية، منها مؤسسات إغاثية، ومنها مؤسسات ثقافية، وأخرى شبابية وكذلك تجمعات علمائية، وغيرها الكثير، كان لها باع كبير في دعم القضية الفلسطينية وما يزال.

المحور الثالث: تأثير المتغيرات المفصلية على أولوية تفاعل الجماعة مع القضية الفلسطينية:

مرّ لبنان بمنعطفين مفصليين كان لهما تأثير كبير في مجريات الأحداث فيه:

الأول: خروج القوات السورية من لبنان عقب اغتيال الرئيس رفيق الحريري سنة 2005.

والثاني: ثورات الربيع العربي، وتحديد الثورة في سوريا.

بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وخروج القوات السورية من لبنان سنة 2005 شهدت الساحة اللبنانية انقساماً عامودياً غير مسبوق، حيث بلغت حدّة الاستقطاب السياسي معظم الشرائح اللبنانية، ولم يبق خارجة إلا اليسير من القوى السياسية والشعبية، والأسوأ من ذلك أن هذا الانقسام أخذ بعداً مذهبياً في الساحة الإسلامية على وجه التحديد، حيث كان القسم الأكبر من الساحة الشيعية في المقلب المحسوب على الموالين للنظام السوري، بينما القسم الأكبر من الساحة السنية في المقلب المعادي للنظام السوري.

لم يغير هذا الواقع من أولويات الجماعة الإسلامية تجاه القضية الفلسطينية، لكن تفاعل عموم اللبنانيين مع دعواتنا للفعاليات الفلسطينية لم تعد بذات الزخم السابق، نتيجة تقدم الشأن الداخلي الداهم على اهتمامات وتفكير جزء كبير من الناس. وهذا الأمر لا يعكس انقلاباً في قناعات اللبنانيين بمقدار ما يعكس ارتداداً إلى أمر داهم وطارئ يأخذ الأولوية المؤقتة ليس إلا. والدليل على ذلك أنه عند الأحداث الكبرى في الداخل الفلسطيني، مثل العدوان الغاشم على غزة سنة 2008-2009، كانت الساحة تعود للتحرك بكامل زخمها متناسية أولوياتها الداخلية.

أما تأثير الثورات العربية فلم يكن له أي أثر سلبي على العمل للقضية الفلسطينية، باستثناء الثورة السورية، التي أخذت الأولوية سواء على مستوى الجماعة الإسلامية ومؤسساتها، أم على مستوى الساحة العامة، وهذه الأولوية لم تكن أولوية تكرر للقضية الفلسطينية، أو أولوية تغيير في المبادئ، والأهداف الاستراتيجية، وإنما هي أولوية المأساة من حيث حجمها ومكانها، فالدم السوري استبيح بشكل فاق كل التصورات، وباتت مظلوميته متقدمة على أي بقعة في الأرض لا تشهد مثل هذا الظلم والطغيان، كما أن تدفق عشرات الآلاف من النازحين السوريين إلى لبنان ألقى حملاً ثقيلاً ومباشراً على عاتق الجماعة الإسلامية وعلى سائر اللبنانيين لتحمل مسؤولياتهم تجاه إخوانهم السوريين، الذين ما قصّروا في يوم من الأيام تجاه لبنان، أو تجاه القضية الفلسطينية.

وهذا بدون شك كان على حساب جزء من الجهود التي كانت تصب في خدمة القضية الفلسطينية، دون أن يعني ذلك تخلياً عن القضية الأم. ويتأكد هذا الكلام مجدداً لدى المحطات الكبرى في الداخل المحتل، حيث كانت تعود القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمام والتفاعل، والعدوان الصهيوني خلال الأيام القليلة الماضية خير دليل على هذا الكلام، وما أروع مشهد أهالي غزة، وسائر الأراضي المحتلة وهم يتظاهرون دعماً للشعب السوري المذبوح، وبيادلهم الشعب السوري التحية بمنثلها تأييداً لهم في مواجهة العدوان الصهيوني العاشم، إنها صورة الأمة الواحدة التي تفرح لفرح أي جزء منها وتتألم لألم أي جزء.

الخلاصة:

أيها الإخوة إن القضية الفلسطينية كانت وستبقى على الدوام القضية المركزية لنا كحركة إسلامية، تؤمن بحتمية المواجهة مع العدو الصهيوني، وبحتمية الانتصار عليه، أما الثورات العربية والأحداث الداخلية المفصلية ما هي إلا أحداث أنية عابرة قد تأخذ من جهدنا ووقتتنا، إلا أنها لن تؤخرنا عن قضيتنا الأم، بل على العكس تماماً، فنحن نرى أنها ستؤسس لتلاحم كامل بين أبناء الأمة، تلاحم لطلما كانت الأنظمة الظالمة تحول دونه، تلاحم سيشكل البداية الحقيقية لتحرير فلسطين، كل فلسطين، "وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ". [الروم: 4-5].